Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 3, 2024

Deanship of Scientific Research

The Rhetoric of Argumentation in Al-Hamadhani`s Harzi Maqāmāh

Nahla Al-Shalabi*

Department of Arabic Language and Literature, The College of Education, Humanities and Social Sciences, Al Ain University, Abu Dhabi, United Arab Emirates.

Received: 22/9/2022
Revised: 10/1/2023
Accepted: 21/6/2023
Published: 30/5/2024

* *Corresponding author:*
nahla.alshalabi@aau.ac.ae

Citation: Al-Shalabi, N. (2024). The Rhetoric of Argumentation in Al-Hamadhani`s Harzi Maqāmāh. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(3), 555–564.
https://doi.org/10.35516/hum.v51i3.2427

Abstract

Objectives: This study explores the mechanics of argumentation in the Harzi Maqāmāh through investigating the intrinsic content that represents its deep structure and underpins the author's artistic craft of generating meaning out of structure. Because verbal structure is governed by the rationale of its genesis, the foregrounding of its corresponding intended purport becomes the main function of the Maqāmāh, including its rhetorical mysteries which contribute to producing a persuasive impact on the text's receiver. Consequently, more light is shed on the situations in which such persuasive impact takes place.

Methods: The study uses sample extracts from the Maqāmāh to orient argumentative significance through various stylistic options. This was done through an analytical study of the rhetorical linguistic levels (expression, eloquence, and meaning) that Badi' al-Zaman Al-Hamadhani employed. The study then represented these aspects using the ladder of persuasion, which reflected the extent of Al-Hamadhani's creativity and persuasive abilities. Data analysis depended on the availability of textual evidence.

Results: The Maqāmāh proved to be rich in rhetorical devices that allowed the text to possess the power of persuasive literary enjoyment, conveying a social message that called for combating the wretched submission to superstition and witchcraft, and exposed the foolishness of its victims. These rhetorical devices manifested through al-Hamdhani's use of various arguments, relying on verbal actions, particularly the most effective ones (genuine interrogation) and figures of speech (metonymy and declaration). Their aesthetic power transformed into a source of persuasion. The author's utilization of persuasive techniques (conciseness, emphasis, and denial) became a prominent characteristic in the structure of the Maqāmāh.

Conclusion: The study contends that robust argumentative mechanics are manifest in the style of Badi'e Al-Zaman Al-Hamadhani. The tools he deployed include rhetorical flourish, appealing prosodic traits, and superb stylistic features embedded in diverse semantic content and rhythmical patterns.

Keywords: Emitter (sender), recipient, discourse stylistics, Al-Hamadhani, the Harzi Maqāmāh.

حجاجيّة البلاغة في المقامة الحرزيّة للهمذاني

*نهلة الشّلبي**

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية والعلوم الإنسانية والاجتماعيّة، جامعة العين، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة

ملخّص

الأهداف: سعت الدّراسة إلى الكشف عن آليات الحجاج في المقامة الحرزيّة بعدّه تقنية اتّصاليّة، وما تضمّنته من أسرار بلاغيّة لعبت دورًا في التأثير في المتلقي وإقناعه لقبول هذا الخطاب، ذلك أنّ الهدف الأساسيّ في خطاب (الكُدية) هو استدراج الآخرين، وإقناعهم بوجاهة الحجاج؛ تمهيدًا للإيقاع بهم.

المنهجيّة: بعيد تقديم الإطار النظري للحجاج بمفهومه العام، حرصت الدّراسة على إظهار المستوى الخاصّ بالمقامة من ذلك الحجاج، بإظهار الشواهد التي وثّقت أشكاله المستعملة في المقامة، من خلال دراسة تحليلية للمستويات اللغويّة البلاغية (بيان، وبديع، ومعان)، التي احترف بديع الزّمان في توظيفها، ثمّ مثّلت الدراسة بالسلم الحجاجي على تلك الشّواهد بصيغة جلّت سفور إبداع الهمذانيّ في القدرة على الإقناع.

النتائج: ثبت غنى المقامة الحرزيّة بالأفانين البلاغيّة، التي مكّنت النّصّ من القدرة على الإقناع بإمتاع أدبيّ، لرسالة اجتماعيّة فذّة، دعت إلى محاربة عادات الخضوع البائسة للشّعوذة، وأظهرت حماقة فرائسها من النّاس. تجلّت تلك الأفانين من خلال توظيف الهمذاني جملة من الحجج، استعان في عرضها بالأفعال الكلاميّة، التي اندرج تحتها أنجعها حجاجًا (الاستفهام الحقيقي)، ناهيك عن الاستعارة (المكنية، والتصريحيّة)، حيث تحوّلت طاقتهما الجماليّة إلى مصدر من مصادر الإقناع. وفي إطار تجلّي العلاقة المجازيّة بين الدعوى والحجّة، اتّخذ الكاتب من السّلم الحجاجي، الذي يعدّ دعامة استدلالية، آليةً لإثبات قوّة الحجاج عند أهل تلك الصّنعة، وقد مثّل استخدامه للعوامل الحجاجيّة (القصر، والتّوكيد، والنّفي) سمة بارزة في بنية المقامة.

الخلاصة: برع بديع الزّمان الهمذاني في فن الكلام، وإحداث الانسجام في ذات القارئ؛ ليتركه منسابًا مع عبارته الملونة بالظرافة والطرافة، التي راعى فيها مستويات المتلقين؛ إذ استعمل أعالي الكلام مع العالين، ومبسّطاته مع البسيطين بما يقتضيه المقام، فأظهر بذلك قدرته على التأثير والإقناع، مسطرًا مستوى محترفًا من المهارة في الحجاج.

الكلمات الدالة: المرسل، المستقبل، لسانيّات الخطاب، الهمذاني، المقامة الحرزيّة، حجاجيّة البلاغة.

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدّمة:

يعدّ المنهج التّداوليّ علمًا يقف على الجانب الاستعمالي للغة في المقام، وذلك من خلال استخلاص العمليات الكلاميّة المتجذّرة في إطارها الّذي يشكله كلّ من: المرسل – المتلقّي – الوضعيّة التبليغيّة، فهو يختصّ بتحليل الكلام، وببيان وظائف الأفعال الكلاميّة وخصائصها خلال عمليّة التّواصل، حيث يستلزم ذلك بالضّرورة دراسة العلاقة بين النّشاط اللّغويّ ومستعمليه، وهذا يتطلّب تحديدًا ضمنيًّا للسّياق الّذي تؤوّل فيه الجملة.

وقد مهّدت الدراسة للنّظر في أوّليات الحجاج بوصفه مفهومًا تداوليًا له أبعاده وحدوده، الّتي تعدّ معايير للحكم في ماهيّته من جهة، وما يندرج تحته ممّا أتى في المقامة موضع الدراسة.

والنّاظر في المقامة الحرزيّة بعدّها الفن الأكثر ازدهارًا في العصر العبّاسيّ، يلحظ تميّزها بلغة إيحائيّة، وأقوال حجاجيّة، وأبعاد سياقيّة، فهي خطاب إقناعيّ مملوء بالحجج والبراهين، تتطلّب دراستها معرفة نظم الكلام ودلالاته، والحالة الكلاميّة الّتي ترافقه، والمعرفة المشتركة بين طرفيّ الخطاب في باب الكُدية لإقناع النّاس بالبذل، وهذا ما جعلها حقلًا خصبًا لقراءتها قراءة بلاغيّة جديدة، تظهر من خلالها الدّور الحجاجيّ للمفاصل البلاغيّة.

يتجلّى توظيف الحجاج في مقامة الهمذانيّ – بعدّه يشكلّ مدرسة السّجع والمحسّنات- للنّظر في حجاج بطلها (الاسكندريّ)، الّذي مارسه بمنطق توصيليّ مع ركّاب السّفينة؛ لإقناعهم بوساطة التّحايل والتّلاعب بالألفاظ بحرزه المزعوم؛ ليضمن تغييبهم وإدخالهم في دوّامة وهميّة تشعرهم بأنّ مصلحتهم هي المقصودة، معتمدًا في ذلك على البلاغة الّتي تعدّ أقصر طريق لكسب ثقتهم وتصديقهم وإذعانهم له وإنْ كان المتكلّم(الاسكندريّ) على باطل؛ لأنّ تنميق الكلام وتزيينه يصل إلى النّفس والسّمع بأقصر الطّرق.

وقد تعذّر على الباحثة تناول التّحليل البلاغيّ في الدّراسة مقسمًا حسب الأبواب البلاغيّة، بعدما تبيّن أن ذلك لن يحقق التّناول الشّامل لموضوعاتها في جميع المواطن الحجاجيّة؛ نظرًا إلى أنّ الدّراسة مقيّدة بنصّ المقامة، الّذي يحدّد محتواه إمكانيّة الوقوف على موضوعات بلاغيّة دون غيرها؛ فضلًا عن أنّ ذلك التّقسيم كان سيسهم بجرأة في تصديع التّماسك النّصيّ في المقامة بصوره الأدبيّة، الّتي ارتقت بها المقامة على نحو يظهر إبداع كاتبها.

وقد جاءت خطّة الدّراسة في مقدّمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، تضمنت المقدّمة أهميّة البحث، وهدفه، وخطّته، وحدوده، ومنهجيته، وفي المبحث الأول أظهرت الدّراسة علاقة الحجاج بالبلاغة، أمّا المبحث الثّاني فقد حلّلت الدّراسة البنية اللّغويّة للمقامة الحرزيّة بصفتها نموذجًا نثريًّا للحجاج؛ لتتبيّن قوّة تأثيرها في المخاطبين، وذلك باستكشاف المفاصل البلاغيّة الّتي بنيت على أساسها حججها، وتلا ذلك خاتمة تضمنت أظهر النّتائج التي خلصت إليها الدّراسة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

التّمهيد:

إذا ما ولجنا في المعاجم اللّغويّة؛ لنستقصي المعاني الّتي يحيلنا إليها الجذر (حَجَجَ)، لحظنا أنّ لفظ الحجاج أو المحاجّة مصدر للفعل (حاجّ)، الّذي يحمل في مضمونه دلالة مستمدّة ممّا يشكّل سياقه أو شرطه التّخاطبيّ؛ إذ تدلّ صيغته الصّرفيّة على المشاركة في تقديم الحجج، وعلى مقابلة الحجّة بحجّة أخرى، والرّجل المحاجج: الجدل، وحجّه يحجُّه حجًا: غلبه على حجّته، وفي الحديث" فحجّ آدم موسى"أي: غلبه بالحجّة، والحجّة: هي مادُلّ به على صحّة الدعوى. نستنتج من ذلك أنّ لفظة الحجاج تكتسب دلالاتها بحسب الاستعمالات المتداولة لها بين النّاس، فقد تأتي بمعنى الخصومة، أو الجدل، أو الغلبة (انظر: ابن منظور، 1997، 2/ 228، وابن فارس، 2001، ص 232)، أمّا الحجاج اصطلاحًا، فقد قدّم **بيرلمان** تعريفًا له، ركّز فيه على بيان وظيفته، **وهي إقناع المتلقي(المحاجج) واستمالته والتأثير فيه بقوّة العبارة**؛ وبذلك يكون له مفهومان: **الأول** منهما يتمثّل في التّحليل، والاستدلال، وتقديم المبرّرات؛ للتّأثير في الاعتقاد والسّلوك، أمّا **الثاني** فيتمثل في التواصل مع الآخرين باستخدام المنطق؛ بغرض التأثير فيهم (بنو هاشم، 2014، ص57)، وهذا يدلّ على أنّ الكلام يحمل سمة الخطاب وهو حقل الحجاج، الّذي يُدخل المتكلم في علاقة تواصليّة مع الآخرين؛ لأنّ الأصل في تكوثره صفته الحجاجيّة، أمّا الحجاج فالأصل فيه صفته المجازيّة؛ لأنّه لا حجاج بغير مجاز(انظر: عبدالرحمن، 2006، ص226).

وعليه، فإن الحجاج يقوم أساسًا على اللغة، الّتي تبيّن أنها "تحمل بصفة ذاتية وجوهريّة وظيفة حجاجيّة" (العزاوي، 2010، 56/1)، والدّليل على ذلك أنّه ينطلق من فكرة مؤدّاها" أنّنا نتكلّم عامّة بقصد التّأثير"(العزّاوي، 2010، 56/1)، وهذا يجعل الأقوال تتابع وترابط، فتكون بعضها حججًا تدعم وتثبت بعضها الآخر، والمتكلّم قد يصرّح بالنتيجة أو يخفيها، فيكون على المتلقّي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخباريّة، بل اعتمادًا على بنيتها اللّغويّة.

والمجادلة – كما نعلم – تنجم عن خلاف في الرّأي وتخاصم وتنازع، حيث يسعى المُجادل(المحاجِج) في جداله إلى التّغلّب على خصمه(المَحجوج) في الكلام، فتكون الغلبة -حينئذ- لمن يقدّم حجّة وبرهانًا؛ ليدافع عن فكرة أو مجموعة أفكار تبنّاها، فتجد المحاجِج يتحرّى توظيف تقنيات الخطاب، الّتي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يُعرض عليها من أطروحات(انظر: صولة، 2011، ص11)، والحجاج الفعّال هو الّذي يوفق في جعل حدّة التّسليم تقوى درجتها لدى المحجوج، فتغيّر على إثره تصوراته ومعتقداته، وتستنفد طاقات المحاجِج الإقناعية (العقليّة) لإثبات وجهة نظره، واستمالة المحاجَج بالقضية المعروضة عليه، أو زيادة شدّة إقناعه؛ لحمله على عمل أو تهيئته له (انظر: صولة، 2011، ص13)) ، وقد لا تؤتي المحاججة أكلها،

إذا لم تعتمد على منطق (العقل) عند طرحها للحجج المخالفة عبر سلسة من العبارات المترابطة ترابطًا منطقيًّا؛ بقصد استمالة المحاجج والتّأثير في موقفه تجاه تلك القضيّة.

وعليه، تكون قد تبلورت في الدّراسات العربيّة بلاغة، **هي البلاغة الحجاجية**، التي تهتمّ بأساليب اللّغة وإجرائها، وتنويعات الخطاب، ومقاماته، وطبائع النّاس المعنيين بكلّ تلفظ معيّن، وقد فرض هذا الاهتمام على أصحاب النّظريّة الحجاجيّة التّوسّل بالكثير من الآليّات المجاورة للبلاغة واللّغة؛ لأنّ أيّ عمليّة حجاجيّة ستتوسل -حتمًا- بتقنيات متعدّدة يختلف فهمها وإدراكها والوعي بها، وهذه الآليّات الجديدة التي تظهر علاقة المتكلّم بالمخاطب وبالمقام، تعدّ من نتائج التّضافر بين البلاغة والبحوث اللّسانيّة المعاصرة، الّتي عدّت فيها البلاغة **أكمل علوم العربيّة والإسلاميّة وأغناها وأدقّها فائدة**(الميداني، 1996، ص131)؛ وبذا، يتّضح لنا أنّ البلاغة تتسم بسمات لُغوية في الأعمال الأدبيّة على اختلاف أجناسها؛ إذ تمنح الحجاج - الّذي يعدّ وسيلة من وسائل التّبيان- طاقة بيانيّة قوية تغيّر في أسلوب اللّغة، وذلك بانتقاء أساليب حجاجيّة بلاغيّة، كالاستعارة، والمجاز، والسّجع، والجناس، والقصر، والكناية واستعمالها استعمالًا مؤثّرًا على وجه الخصوص.

المبحث الأوّل

علاقة الحجاج بالبلاغة

عرفنا سابقًا أنّ الحجاج يشكّل بُعدًا من أبعاد الخطاب الإنسانيّ؛ الذي يمكن أن يمارس بلغة منطوقة أو مكتوبة، بوصفه آليّة لغويّة تتوسّل بتقنيّات واستراتيجيّات بين مرسل (محاجِج)) ، ومستقبل (محاجَج).

والبلاغة لم تقف عند كونها محسنًا بديعيًّا لفظيًّا أو معنويًّا تزدان به العبارة إيقاعًا وجرسًا أو من حيث التناوب البيانيّ، الذي يظهر فيه المتحدّث جمال النّسق التركيبيّ والأسلوبيّ للعبارة اللغويّة، بل اعتبرت البلاغة كلّ ذلك من الأدوات الأوليّة التي تساعد في تحقيق المرام الحقيقي لها، الذي يجري ببلوغ مقالة المرسل إلى عقل المستقبل بعدّهما قطبيّ التواصل، ولأنّ الرّسالة لا بدّ لها من غاية، وهي إحداث حركة ماديّة أو عقليّة لدى المستقبل، فإنّ هذا يحتمل في مفهومه أن يؤثّر أحد طرفيّ التّواصل في الآخر، فيعينه على السّير متوازيًا معه في ما يوافقه فيه أو يوجد عنده انزياحًا مسلكيًّا في العبارة أو العمل أو كلاهما، إن لم يكن متوافقًا معه أصالة، فيسعى المرسلُ ضمن معيار عقليّ أو عاطفيّ إلى توجيه المرسل نحو وجهة أرادها له، مستعينًا بالحجج والأدلّة، الّتي لا تخلو من طاقة كافية تضمن أن يعيد المستقبل النّظر فيما يفكّر على الأقل، وكلما زادت طاقة الحجّة في العبارة، عمّقت تمكن رؤية المرسل من فؤاد المستقبل، وحققت لدى المستقبل انزياحًا عن وجهته الأولى بما يكون أكثر انسجامًا مع مراد المرسل، ويتأكّد ذلك بما ورد عن ابن الأثير حول مخادعات الأقوال القائمة مقام مخادعات الأفعال، وامتداد القصد في ذلك نحو استدراج النّظير إلى الإذعان والتّصديق(انظر: ابن الأثير، 2009، ص 64)، فالتزيين في الكلام الخالي من التّأثير واستدراج القبيل في المحاجّة منقوص، وليست البلاغة محصورة في جزئياتها الشكليّة، بل لا تتحقق في مطابقة تعريفها إلّا إذا حققت البلوغ في الأثر المراد، وبمقدار رسوخ الحجّة وضمان الأثر في العبارة تعلو بلاغتها.

وعند تسليط الدّراسة الضّوء على البلاغة في مرحلتها الحديثة، تلحظ أنّها توجّهت توجّهين بارزين نحا **أوّلهما** بمفهومها منحًى جدليًّا، أمّا **ثانيهما** فجعلت البلاغة فيه مرادفة للأسلوب، وذلك عندما قدّم العرب المحدثون دراسات عديدة في هذا الباب، من مثل محمّد عبد المطّلب، وشكري عيّاد.(شكري، 1985، ص 211-236)

باتت البلاغة إذن، تعرف بما يسمّى بالأسلوب حتّى أضحت اللّغة المجازيّة- على إثر ذلك- موضوع دراسة المجازات، وصور الخطاب؛ لاستقصاء أدواتها وصورها، وإعادة قراءة الأجناس الأدبيّة المختلفة قراءات بلاغيّة عديدة على رأسها الأسلوبيّة، وعلى الرّغم مما نلحظه اليوم من عودة البلاغة عودة قويّة، إلّا أنّ جميع الاتّجاهات البلاغيّة عبر الزّمن تمحورت حول جانبين هما: جانب إمتاعيّ، وآخر إقناعيّ، اللذان يعتبران حدَّي البلاغة، فالأوّل منهما يقوم على إجراءات أسلوبيّة تداعب أحاسيس وعواطف الجمهور؛ لتضمن تأييده في الخطاب الموجّه إليه، أمّا الثاني فيعتمد على الاستدلال وبحث ما يمكن أن يقبل من الرّأي المخالف. (انظر: الدهري، 2011، ص 8-12)

ولأنّ المقام يعدّ معيارًا أصيلًا في تحقيق الأثر، وتحقيق هدف الرّسالة بعد بلوغها إلى المستقبل، رأى البلاغيون ضرورة أن يطابق الكلام مقتضى الحال(انظر: القزويني، 2003، ص20)، من ثمّ إنّ البلاغة قد تكون في الرّسالة، لكن لا يتحقق مراد صاحبها في توجيه المستقبل إلّا بعد توخيه الدّقة في ما يتناسب مع حال المستقبل، وما لا يتعارض مع الفضاء الاجتماعيّ الّذي بثّت فيه الرّسالة، أمّا الرّسالة الّتي يسعى المرسل المحاجِج إلى طبعها في قناعات المستقبل، فلا تقتصر على كونها فكرة مجرّدة؛ إذ يتوجّب أن يهيء المرسل لرسالته ما يدعمها ويرتبط بها على نحو يجعلها منطقيّة مقنعة.

وعليه، فلا تكفي العبارة اللّغوية الملوّنة بفنون البديع والبيان لإحداث الأثر في قناعات المستقبل؛ إذ يتوجّب أن تحمل في مضمونها الدّليل المعنويّ، الّذي يظهرها مليئة بما يغذّي العقل بأسباب الاقتناع من أفكار مدعومة بالعلوم الّتي اكتسبت صفة الاحترام على المستوى الجماهيريّ، فأصبحت(العلوم) مصادر قوّة لكلّ ما يتوافق معها عند فئات اجتماعيّة كثيرة، فالأنواع البلاغية الّتي تخاطب العاطفة من **تشبيه وكناية ومجاز**، قد تمتّع وتؤثّر، غير أنّها لا تصل درجة الإقناع المطلوب، ما لم تعضد بآليات حجاجيّة تخاطب العقل بدوره؛ لذا نجد أنّ تلك الأساليب البلاغيّة الّتي نوظفها

لتأدية المعاني لا تخلو من **استدلالات بلاغيّة، بعدّ الاستدلال** "سيرورة تنطلق من المعاني المباشرة إلى المعاني المقصودة غير المباشرة باعتماد كفاءات تواصليّة"معيّنة(الرّقبي، 2011، ص 75)، سواء تعلّق الأمر بمسائل البيان أو المعاني، وهذا ما أكّده علماء وبلغاء العرب بقولهم: إنّ مفهوم الاستدلال، يجري استقصاء القول فيه ضمن إطار علم البلاغة، وعلم المعاني، والبيان، فهو**حجاج موجّه للعقل والقلب**؛ لأنّه يجمع بين المضمون العقلي والصّور البيانيّة للحجّة (انظر: أعراب، 2001، ص110)، أو **بين الإقناع العقليّ والإقناع العاطفيّ**، وهو لا يعتبر"عملية عقليّة استنباطيّة محضة، بل يشكّل عملية خطابيّة يجري بموجبها اتخاذ علامة ماديّة أو معنويّة، وجعلها شاهدًا ومثالًا على شيء أو صفة من صفاته"(أعراب، 2001، ص 110)، وذلك كالانتقال من الحمرة في الوجه إلى الخجل، ومن تلبّد السماء بالغيوم إلى هطول الأمطار(انظر: المبخوت، 2010، ص14)،

أمّا بلاغة المرسل في هذا المضمار، فتقدّم تلك الأفكار بتصريح من خلال المعاني المباشرة أو بتلميح يستكشف مضمونه المستقبل الفطن بالدّلالات غير المباشرة، الّتي تعزّز في المستقبل أسباب الإذعان والاقتناع؛ إذ كوّن في تصوّره تصديقًا لما فهم من المرسل، أمّا التصوّر بعدّه صيغة ذهنية للمستقبل، فقد ارتقى عنده إلى مستوى **الاستدلال الصّادق** والموثوق، الّذي ارتبط بنظريّة(معنى المعنى) (الجرجاني، 1992، ص263)، فالسّامع حسب رأي الجرجاني لا يصل إلى الغرض من الكلام" بدلالة اللّفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن"زيد" مثلًا بالخروج على الحقيقة فقلت: "خرج زيد"، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، ولكن يدلّك اللّفظ على معناه الّذي يقتضيه، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل" (الجرجاني، 1992، ص262).

وبناء على كلّ ذلك، فإنّ الرسالة وهي العبارة التي مَثّلت لدى المرسل الجانب اللّفظي المرتبط في مفهومه السّطحي والعميق، أمّا الأول، وهو المعنى الحقيقي الموضوع في معاجم اللغة، والثاني، وهو الدّلالات التي تختفي خلف المعاني القريبة، ومرام الاستدلال بالانتقال من المعنى الوضعي إلى المعنى المقصود، الّذي يحقّق الوقوف الذهنيّ على تفاصيل الرّسالة بجسدها وروحها؛ لتحيا في فؤاد المستقبل وتحيي فيه وجهة جديدة.

وقد قدّمت الدّراسة مخططًا توضيحيًّا، يظهر بعض مواطن الاستدلال بالبلاغة المستعملة في العبارة اللغويّة لدى صاحب المقامة، وقام ذلك على توضيح الكنايات المستنبطة من ظاهر لفظها، من ثمّ توضّح بها المعنى المقصود من المعنى الوضعيّ.

استدلال

المعنى الوضعيّ ⟵ المعنى المقصود

ظاهر اللّفظ ⟵ استدلال ⟵ غرض المتكلّم (الكناية)

فِينَا رَجُلٌ لا يَخْضَلُّ جَفْنُه اخضلال الجفن في معناه الوضعيّ هو: رطوبة الجفن ونداه، كناية عن حالة التّوتر والأرق والرّهبة التي تسبق البكاء.

وَلا تَبْتَلُّ عَيْنُهُ ابتلال العين في معناه الوضعي هو: غرق العين بالدّموع، كناية عن اليأس والحزن الشديدين، والاستسلام للفزع.

رخيّ الصّدرِ مُنشَرحه رخي الصدر منشرحه في معناه الوضعي هو: طلق الوجه، مسترخ، كناية عن

الاطمئنان وراحة البال.

المبحث الثاني

تحليل الحجاج في المقامة الحرزيّة بلاغيًا

إنّ اللّسان الغالب في المقامة كان لابن هشام، فهو النّاطق بالحجّة، والمؤثّر في القارئ حول عرضه ما حدث معه وحيثيات قصّته وما امتلأت به من أسباب وتغيّرات في الأماكن والأزمان، من ثمّ فإنّ الحجاج الّذي كان عند صاحب الحيلة في المقامة، كان حيلة وإيماء أكثر من الكلام الّذي تطفّل به عيسى بن هشام في عرض وبيان الحجّة فيه واللغة الّتي ترسيه؛ مهيمنًا على مواطن الإذعان بالحجّة والبرهان.

والنّاظر في دراستنا هذه يرى في الحجاج حجاجين، الأوّل الحال الّتي وصل إليها قارئ المقامة من التأثّر والتّفاعل مع قصّة ابن هشام بالشّوق المطلوب والاستمتاع المخطوب، أمّا الثّاني فقد كان الحجاج في فعل صاحب الحيلة بلغة الرّاوي (ابن هشام)) في تطويعه غرائز الرّهط المسافرين، والاستحواذ على استكانتهم بضعف أمام حرزه المزعوم.

1. **حجاج الكاتب والقارئ:**

وضع عيسى ابن هشام القارئ في تفاصيل المشهد كما عاشه هو، وعاشه القوم على السّفينة بعد أنْ قدّم بذكر الخيبة واليأس من السّفر، وهذا في

حدّه أسلوب أحدث به استئذانًا مقاميًّا إلى ذهن المتلقي؛ ليهيئه إلى العيش مع الحدث والاستشعار به كما استشعر به ابن هشام وصحبه المسافرون؛ وبذا، يكون قد صنع المقام بالمقال، واستعدّ ليناسب مقاله اللّاحق منسجمًا مع مقتضى حاله. وأسلوب ابن هشام في الاستهلال يعدّ تداوليًّا إقناعيًّا، إذا ما نظرنا إليه على أنّه خطاب للقارئ، يبتغي من خلاله إقناعه بالانسجام مع المقروء والتّصديق به دون عناء، ينقله من محضيّة القراءة إلى رحابة الأحداث والعيش فيها والتّبصّر في المقام المصنوع في المقامة، كما يتبصّر به أهله (**أشخاص المقامة**). بدأ ابن هشام كلامه بجملة الخبر الإنكاريّ الفعليّة، الّتي تفيد التّجدّد والحدوث، المؤكّدة باللّام وما الزّائدة (**لَمَّا بَلَغَت**)، وعطف عليها جملة (**وَرَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ**)؛ ليقتل احتمال التّردّد عند القارئ في الانسجام، وبالمجاز المرسل، علاقته المحليّة أحاط بالظّرف المكانيّ؛ إذ ذكر المكان (**الغربة**) وأراد المغترب في حديثه عن نفسه، فاجتمع لدى القارئ ظرفان، زمان في لفظ (**لما**)، ومكان في ذكر(**المحل**)، وجلّى إيقاع السّجع في الباء المرققة المنخفضة بالإضافة تارة، وبأثر الحرف تارة أخرى، ثمّ استمر بالسّجع في الجملتين الاسميتين بعد ذلك؛ ليشير إلى ثبوت إلا أنه جاء بصيغة المبالغة (**وثّاب**) و(**عسّاف**)، وفي ذلك استجلاب لاهتمام القارئ؛ لما يراه في هذا التّعبير من تكثيف لمادّة معناه، وعمق توصيف لمرماه، لا سيّما أنه قدّم ذلك بتعبير اقتضى الاستعارة المكنيّة في لفظ وثّاب، الّذي شبّه فيه البحر بإنسان يثب ويتنقل بقوّة ويعلو على سبيل التّكثير بلفظ (**وثّاب**)، والاستعارة ضرب بليغ من الكلام أكثر من التّشبيه البليغ أدّى إلى الفهم بأقلّ العبارات، وأظهر في التّشبيه مع غياب أحد ركنيه، فهي أكثر استعمالات اللّغة فاعلية؛ لأنّها تدخل في جانب التّصوير والتّأثير، فتراها تتصدّر بشكل كبير بنية الكلام الإنسانيّ، حيث تعدّ عاملًا رئيسًا في التحفيز والحثّ، ومتنفّسًا للعواطف والمشاعر الانفعاليّة. أمّا الاستعارة المكنيّة فتسهم في إيفاد عمق التّبصّر في ارتباطات القرائن، لا سيّما المناسب الّذي يصلح أن يكون مشبّهًا به، وفي ذلك يحلّق بالخاطر على نحو يرسل المتلقّي في رحلة بين المفردات ومفترقات الكلام تجعله يشعر أنّه صاحب العبارة؛ إذ هو الّذي يكمل صورة التّشبيه بخياله وفكره، ويستحق المشبّه به الّذي دلّت عليه قرينته، ويسعده ذلك كسعادته بحلّ لغز يعزّز اعتداده بذاته. كلّ تلك المؤثّرات البلاغيّة المتناوبة وطّأت لدى القارئ استقبال ما أريد له أن يستقبل، وتركت له طريقًا وحيدًا، يسير فيه بفهمه ليظنّ أنّه هو من اختار الطّريق حتّى يصل إلى الحيرة الّتي عاشها ابن هشام والضّياع الّذي أحاط به؛ ليرى في نفسه أنّ الاستخارة هي الملاذ الوحيد، فيأتي ابن هشام بها مؤكّدًا ذكاء القارئ الّذي صار الآن منسابًا مع المقام، فلا يتكلّف بعدها بمؤكّدات؛ إذ يذكر استخارته بخبر ابتدائي وجملة فعليّة أفادت التّجدّد والحدوث بقوله:" **اسْتَخَرْتُ اللهَ فِي القُفُولِ**"؛ (الهمذاني، 2005، ص137) وبذا يكون قد صار مطلبًا للقارئ ولا يحتاج أن يتردّد فيه. استمرّ ابن هشام بذكر الجمل الخبريّة الابتدائيّة بفن بديعيّ(**السّجع**) يطرب القارئ، حيث" جاء في غاية الحسن، وهو أعلى درجات الكلام"(ابن الأثير، 2009، ص185-187) وذلك في قوله:"وقعدت من الفلك بمثابة الهلك"، حيث اختار لفظ القعود الذي يظهر تغير هيئته إلى الانخفاض بعد الوقوف، بصورة جلّت اليأس والاستسلام وانتظار الموت، الذي عبر عنه بلفظ (الهلك) المجانس لفظ (الفلك) جناسًا غير تامٍ، وقد وضح هذا الفن البديعيّ اللفظي (الجناس) قصده في المقاربة بين(الفلك، والهلك)؛ إذ كان بإمكانه أن يستبدل بلفظ(الهلك) لفظ(الهلاك)، لكنه أراد إقرار الموت في المكان، وتوصيف الفلك بأنّه وعاء ذلك الموت، وسبيله، الذي لا مناص منه، بعد أن شبّه الفلك في حالته تلك بجسر إلى الهلاك على سبيل الاستعارة المكنية، والنّاظر هنا يعجب، فإن كان الخلاص في الموت، فما الحال قبل ركوب الجسر؟، ما يومئ بأنّ الحال في المركب كان فيه من الهول ما لا يطيقه الحيّ من عذاب النفس، والرعب العظيم. وعند وصفه الصّورة الّتي أظهرت حالهم في البحر، استهلّ كلامه بخبر إنكاري(**وَلَمَّا مَلَكَنَا البَحْرُ**)؛ إذ دبّجها بمؤكّدين هما: اللام، وما الزائدة، وأجرى فيها الاستعارة المكنيّة في تشبيه البحر بإنسان يملك بقرينة (**الملك**)، وفي الحين نفسه، ذكر البحر وأراد جزءًا منه على سبيل المجاز المرسل وعلاقته الكليّة، وقد ظهر في ذلك أثر التكثيف البلاغيّ العميق للقبض على لجم التفكير لدى المتلقي، فيحتار بإرادة صاحب المقامة وجهة يظن أنّه مقررها؛ وبذا تتجلّى أسحار البلاغة في صناعة التأثير، وخلق الإذعان لدى المتلقي. من ثمّ تراه يعيد كرّة التّأكيد ليضمن امتلاك القارئ، وتحقيق إذعانه لمراده وحتميّة استمراره منسابًا مع رسالة ابن هشام، وعند قدوم العاصفة قال: "**غَشِيَتْنَا سَحابَةٌ تَمُدُّ مِنَ الأَمْطَارِ حِبَالًا، وتحدو مِنَ الغَيْمِ جِبَالًا**"(الهمذاني، 2005، ص137)، فالفعل الماضي(**غشي**) يقدّم في مبناه معنى الحدث والتّجدّد والتّحوّل إلى حال جديد طارئ، وضمير المفعوليّة (نا) المقدّم وجوبًا في تعظيم الأثر فيهم، واستسلامهم للسّحابة الّتي شبّهها بإنسان بقرينة الفعل (**تمدّ**) على سبيل الاستعارة المكنيّة، وما سحبته عليهم من خطر باستعمال الفعلين المضارعين المستمرّين في معنى بنيتهما(**تمدّ، تحدو**)، أما شآبيب المطر فقد شبّهها بالحبال على سبيل الاستعارة التّصريحيّة، وكذلك الحال في تشبيهه الغيوم المتراكمة بالجبال على سبيل الاستعارة التصريحيّة أيضًا. وفي المعاني ظهرت المفارقات العجيبة بين صفات الأشياء وصنائعها؛ إذ السُحب أصلًا مصادر خير صنعت في المقامة مبعث رعب وهلع، أمّا الأمطار الّتي تمدّ بحبال الحياة، فقد تمثّلت في المقامة لترسيخ مشهد العنف والغرق بتراكم الغمام، وعتمة السّماء بحبال من الماء تمثّل البحار، حتّى انحصرت السّفينة بين بحر تحتها وآخر فوقها يتنافسان على إغراقها والإطباق عليها، فتبدو الحياة ساعتئذ تحت رحمة الموت بمشهد(**يد الحين**) الّتي تقبض مكان الجميع، وفي استعمال كلمة (**اليد**) دلالة على القوّة والسّطوة والسّيطرة وقبلها الفعل (**بقينا**) في قوله: "**وبَقِينا فِي يَدِ الحينِ**"(الهمذاني، 2005، ص 138)، الّذي يفيد التجدّد والحدوث والاستغراق في معناه الظّاهر في حرف المدّ الياء، فالياء في كلمة (**بقينا**) عمّقت مفهوم البقاء قبل إطلاقه في (**نا**) الفاعلين الّتي تنتهي بألف تعطي صوتًا مطلقًا؛ لمعرفته أنّ أصوات المد الاستمراريّة لها ما لها من قدرة على التصويت في لفظ الفعل بمقدار يشبع نفس القارئ منه، وفيه من النغم المتولد عن اهتزاز الوترين الصّوتيين ما يجعله أجلى للسمع، واختياره الفعل بياء أصلية فيها هذه الصّفة، يرينا أن صاحب المقامة أراد ذلك أصالة في الكلمة لا تبعيّة، ومثل ذلك

في إطلاق الألف في الضمير(نا)؛ إذ أجرى الاستغرق في الفعلية وأثرها في الفاعلين المضمرين بـ(نا)، المقحمين في ذلك البقاء، من ثمّ إنّ المؤثّر الصّوتي في الفعل أقرّ استسلام القوم وخلاصهم إلى قناة البقاء تحت رحمة الموت المعدومة، ويؤكّد الكاتب تلك الصّورة في النّفي بعدها(**لاَ نَمْلِكُ عُدَّةً غَيْرَ الدُّعَاءِ**)؛ إذ النّفي سبق مضارعًا، وهو نفي يستمرّ ويتجدّد في نفوسهم فاستثنى من غياب ملكهم الدّعاء، وهو عند أهل اليقين أصلًا فيه الخلاص والنّجاة، ولم يلحظ ذلك بين الجميع إلا الرّجل صاحب الحيلة فقد رجح عقله؛ إذ آمن بالقدر ولم يستسلم للهلع وعرف أنّ الحياة بين أمرين، بقاء وزوال، فإن كانت الأولى ربح، وإن كانت الثّانية فليس منها بدّ، فركب دعاءهم بيقينه وإيمانه بمقتضيات الأقدار.

والنّاظر إلى كثافة الاستعمالات البيانيّة من استعارة مكنية تارة، وتصريحيّة تارة أخرى، يشهد أنّ ابن هشام لا ينفكّ يحاول امتلاك وجهة القارئ بتصوير يدخله في أحداث القصّة مرّة أخرى للغاية نفسها، وقد جرى ذلك في معظم التّركيبات التي توضّح هذه الصّورة؛ إذ تكرّرت الاستعارات على نحو كثيف لا يسمح لمستوى الكلام أنّ يهبط عن كونه بليغًا ألبتة، وابن هشام – هنا – يعلم أنّه يخاطب العقل ويدرك أنّ فصاحة اللسان مفتاحه، وغير الذي ذكرناه من شواهد علم البيان كثير، كالاستعارة المكنية في لفظ (**بِرِيح تُرْسِلُ الأَمْوَاجَ أَزْوَاجًا، وَالأَمْطَارَ أَفْوَاجًا**). وعند حديث ابن هشام عن حاله وحال القوم وقت فزعهم، الّذي اعتنى بدقة تصويره للقارئ حتّى جعله يظن أنّه شريك لهم في مسؤوليّة الخلاص من المحنة عبّر قائلًا: **"لا نملك عدة غير الدّعاء، ولا حيلة إلا البكاء"** (الهمذاني، 2005، ص138) لتجتمع التّناقضات بين الأمل واليأس في نفوس القوم ونفس القارئ، ثمّ يتركوا للرّجاء سبيلًا؛ إذ ذكر احتمال العصمة المحصورة فيه، ولا شكّ أنّ استعماله أسلوب القصر، الذي يعرف بأنه" تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"(جلال الدّين، د. ت، ص37)، بصورة مكررة، فيه وضوح بالغ أنّ الحاضر في المشهد بين راكب في السّفينة أو قارئ صار حبيس القرار الواحد، وليس ثمّة تسليم أكثر من ذلك لابن هشام وما أراد له أن يكون في أقدار المقام، وبعد أنْ تحقّق له ذلك، انصرف عن الاستمرار في التّمكين وختم الوصف بالكناية التي تعرف بأنّها" ترك التّصريح بالشّيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك" (السّكاكي، 1987، ص40)، التي تُجمل عموم أحوال تلك الليلة، وأنّها صارت مطويّة بكلّ اضطراباتها بقوله: **"وَطَوَيْنَاهَا لَيْلةً نَابغِيَّةً"** (الهمذاني، 2005، ص138)، واستعمال الكناية هنا يبرز تمام استحكام يد ابن هشام من تقديم جميع الأدوات اللّازمة لتوثيق ما أراد له في نفس القارئ؛ إذ الكناية في مفهومها أعلى درجة في الإقناع من المعنى الحقيقي، حيث تستخلص الدّلالة فيها بالإيماء غير المباشر، الّذي لا يتأتّى إلا للعارف المدرك، والموافق على موضوعها، وهنا صارت واضحة لدى القارئ بعد تسليمه لابن هشام الّذي ذكرناه، ما دعاه إلى استسهال ختم الصّورة بالكناية دون ريبة منه أن يضيّع السّهم مرماه.

2. حجاج صاحب الحيلة والقوم

أمّا في الصباح فقد جلّى عيسى بن هشام بالإسناد إلى ضمير الفاعلين، فكرة اجتماع القوم على ما اجتمع في نفسه من شعور، فحديثه يمثّل حديث كلّ فرد منهم بعدّه تبنّى سرد حال الجميع بالتّصوير الدّقيق، من ثمّ جعل ابن هشام حديثه ينقسم بين طرفين، الطرف الأوّل (**القوم**)، وهو واحد منهم، أمّا الطّرف الثّاني فهو صاحب الحيلة، أمّا الأسلوب فقد انقسم على شكلين لكلّ طرف من أطراف الحجاج؛ إذ في حديثه الممثل للقوم ففيه ما جاء على لسانهم، وما جاء وصفًا لحالهم، ومثل ذلك عبّر ابن هشام عن حديث صاحب الحيلة (**الاسكندري**)، وفي ذلك فإنّ بديع الزّمان صاحب المقامة قد حقّق وصدّق الاستشعار في كلّ طرف من أطراف الحجاج، وأعطى كلّ فريق ما استطاع من أدوات، وحكم القصّة بالانضواء تحت أقدارها المصنوعة، وأطلق لسان عيسى بن هشام؛ ليسبك الحديث عن الحجاج بعبارة بليغة تمسّكت بمقتضى حالها.

قدّم لنا استقبالهم الصّباح بالسّجع، في حرف الكاف (**نتشاكى، نتباكى**)، ثمّ مثّل ذلك في حرف النّون (**جفنه، عينه**) وفي حرف الحاء(**فرحه، ومنشرحه**)، وترى تلك المسجوعات الخاصّة بالحديث عن القوم، جاءت في المتحرّكات الّتي بدورها تدلّ على مشاعرهم المضطربة، الّتي لا تركن إلى عقل ولا توقفها حكمة، والرّجل الّذي لم تندَ أجفانه عبّر عنه بصفة الأصل في الإنسان؛ إذ لا تغرق عين الرّجل أصالة، فهي جافّة حتّى يدفعه إلى الدّمع سبب، وهو في الأصل منشرح على فطرته، متفائل، مقبل على الحياة حتّى يكدّر صفوه سبب، من ثمّ فإنّ حال القوم كان على الفرع؛ لأنّهم مقبلون على الموت، وحال الرّجل كان على الأصل. وفي هذا، كان التّعبير عنه بالمسجوعات المتحرّكة؛ لأنّها استمرّت فيه ولم يتكلّفها، وليس ثمّة دافع يجعل المرء يسعى إلى تحليل الأصل واستساغة الفرع إلا غياب المنطق وزوال الحكمة، والاستعجال في تبنّي الفكرة قبل تمحيصها، وهو ظاهر في استعمال حرف العطف الفاء الّذي يفيد التّعقيب، وقرنه بفعل الاستسلام الممتلئ انفعالًا وهو التعجّب في الماضي (**عجبنا**)، الّذي يفيد التّجدّد والحدوث، ووقوع الأثر في النّفس بإطلاق الفعل بكلّ معناه في لفظه كلّ العجب، ولمّا اطمأنّ الاسكندري(صاحب الحرز) إلى أنّه هيأ القوم(ركّاب السّفينة) للإذعان إلى ما يلقى إليهم من أطروحات، وأنه أحكم السّيطرة على نفوسهم استعان بالحيلة؛ تمهيدًا للسيطرة على عقولهم، ميقنًا أنّ حيلته الّتي حاكاها ستؤتي أكلها، وأنّ ذلك من شأنه أن يمهد السّبيل أمامه لتمكين دعواه، ولكنّه كان يدرك أنّ نشوة المسموع لن تعمّر طويلًا، ما لم يشدّ أزرها بما يوطّد أركانها، فعمد إلى تدعيمها بالسلّم الحجاجي، الذى يمثّل دعامة استدلاليّة، انطلقت من التّلازم بين القول الحجّة ونتيجته؛ معتمدًا على التدرّج فى استعمال وتوجيه الحجج والأدلّة (انظر: عبدالرّحمن، 2006، 277، والرّقبي، 2011، ص93)، وتتجسّد وفق الشّكل الآتي:

ترمز كلّ من الحجّة 1، والحجّة 2، والحجّة 3 إلى التدرّج في استعمالها في منحى تصاعدي يؤدّي إلى النتيجة (ن)) ، ضمن سلّم حجاجيّ يساعد في التقدّم نحو السّيطرة على عقول الجماعة وأفئدتهم، فكأنّ(الاسكندري) كان واعيًا أنّ عليه التسلّح بأساليب التّضليل ما وسعه الأمر، دون أن يترك في خطابه ثغرة يتسرّب منها الشّك وتنقدح في صدور سامعيه، فعمد إلى التلهي بعقولهم، والتلعّب عن طريق المراوحة بين حدّي الوضوح والغموض؛

مستخدمًا تقنية السّلالم الحجاجيّة ليستدرج القوم، وإذا ما تتبعنا هذه السّلالم وجدنا أنها وظّفت لخدمة الحجج الدّاعمة للكدية؛ وبذا فإنّه يمكن أن نمثل السّلم الحجاجي بالشّكل الآتي، بعدّ أن ما جاء على لسان ابن هشام في وصفه هيئات الاسكندري، هي بمثابة تعبير الاسكندري عن نفسه بلغة الجسد، الّتي تناظر لغة اللّسان، ولا تقلّ عنها قيمة في الإبلاغ.

استوقفت الدّهشة القوم على صوت الباء الوقفيّ، وتكرار ذلك في جعله حرف سجع بين (**العجب**، **العطب**)، الذي جرى ليّنًا سلسًا طبعًا، يستدعيه المعنى ويطلبه (انظر: الجرجاني، 2009، ص6-7)؛ فهم لا يزالون يعيشون الفرع دون الأصل، والعطب فرع على الحياة؛ لأنّ أسباب الموت لا تزول من حياة الإنسان، ولن يصيبه من بينها إلّا واحد، والإنسان لا يوجهه العقل إلى كيفيّة الموت، بل يوجهه إلى كيفيّة الحياة، وقد لفتنا إلى أنّ القوم كانوا في اضطراب مستمرّ، لا توقفه حكمة، ولكنّ العجب الحادث المبنيّ على غير ما يدعو إليه أوقفهم، فاستعجلوا الاهتمام به دون تبصّر أو تفكّر، فسلّموا أنفسهم فرائس ساذجة لصاحب الحرز، الّذي اقتنص فضولهم وغباء ميولهم، وحاك لهم الشّباك، وفي تعبير(**رَحِيُّ الصَّدْرِ**) على سبيل الاستعارة المكنيّة ملحظ إلى أنّ ابن هشام يقدّم لحال الرّجل بعدّه غامضًا يتطلّب فراسة عظيمة لإدراك أسباره ورؤية أوطاره، وهذا ملحظ يحسب في حجاج صاحب الحرز؛ لأنه يصبّ في صالحه على حساب القوم.

ولمّا سأل القوم صاحب الحرز بالاستفهام الحقيقيّ في جملة (**مَا الَّذِي أَمَّنَكَ مِنَ العَطَبِ؟**)، بدا له جهلهم وأنّهم بجملة الإنشاء الطّلبيّ هذه يخطبون معرفة ما يجهلون بعدّهم موقنين أن الرّجل ضامن النّجاة، وذلك في قوله: **"فقال: حرز لا يغرق صاحبه"** (الهمذاني، 2005، ص138)، حيث أفادت

الفاء في قوله:" **فقال**"، إتباع السّؤال بإجابة سريعة تظهر الاستعداد الواثق والمتمكّن لحلّ القضيّة والمشكلة؛ كي يكون مقنعًا للآخرين، فمن الملاحظ أنّه أجابهم مستعملًا التقديم والتأخير **(الرّتبة)** في الكلام، الذي يفيد" العناية والاهتمام"(سيبويه، 2009، 21/1)، فصاحب الحرز أراد توليد الشّوق واللهفة في نفوس القوم، فكان ردّه أشدّ وقعًا وأكثر تأثيرًا عليهم؛ لأنه جاء عقب ترقّب وانتظار (انظر: الزّركشي، 2006، ص770-773)، وبإجابة لم يحسبوا لها حسابًا قال:"**حرزلا يغرق صاحبه**"، فجعل بذلك استقرار بصرهم على المبتدأ (**الحرز**)، الّذي يشبه المعجزات، وهم أحوج ما يكون إلى إحداها، ثمّ أخبر بالجملة الفعليّة المنفيّة، وظنّنا في ذلك أنّه أراد إبراز التّجديد والاستمرار في احتمال الغرق الّذي يرعبهم، ووضع ما يحجب ذلك الاحتمال وهو النّفي، فالواقف بين القوم يرى مستقبلًا في قاع البحر غرقًا، ويرى حرف النّفي الصّغير في ذلك الحرز، ويسمع ذلك من رجل كانت النّظرة الأولى إليه على أنّه آمن ناج، لا يعرف الهلاك طريقًا إليه، ونرى أيضًا أنّ الرّجل أجابهم بجملة الخبر الابتدائيّ، الّذي لم ير فيه دافعًا للتّأكيد وعطف على حديثه جملة شرطيّة غير متحققة؛ إذ بدأها بحرف الامتناع في حديثه عن مشيئته بمنحهم أحرازهم، لكنّهم غفلوا عن صدق العبارة وتمسّكوا بكذب رأوا فيه نجاتهم، فأقبلوا إليه كلّهم على الإطلاق دون تباين بينهم لا في الصّفة ولا في الأسلوب؛ إذ عبّر عنهم ابن هشام بلفظ (**فكلّ**) النّكرة المطلقة الّتي أفادت العموم، وأسند لهم الفعل (**رغب إليه**)، أي أقبل إليه راغبًا راجيًا من غير تردّد، بل امتدّ الأمر إلى الإلحاح على الرّجل بجمال عبارة ابن هشام المسجوعة في (**إليه، عليه**)، وذكر الفعل المتعدّي (**ألحّ**) الذي يفيد التّجدد والحدوث على صفة التّكثير، فالحركة حركتهم والتّأثير لصاحب الحرز، وترى أنّ بعد إلحاح القوم كرر صاحب الحرز النّفي والامتناع عن الفعل، وقيّد موافقته بخيار واحد وهو إعطاؤه دينارًا مستعجلًا وآخر بعد النّجاة، أمّا النّجاة فقد عبّر عنها بالجملة الشّرطيّة بالظرف إذا في قوله: "**إذا سلم**" (الهمذاني، 2005، ص 138)، وكان الأولى عند صاحب الحرز أن يقول بعد السّلامة بعدّها مكفولة بالحرز، وكلّ هذه العلامات تشير إلى غياب الحكمة لدى القوم، وكأنّ صاحب المقامة هنا، يريد أن يخبرنا أنّ الخوف والهلع وعدم اليقين والإيمان بالأقدار ليس من الحكمة في شيء، ويغيّب منتهيات الأفكار ويخرجها من العمق إلى السّطح، فيسيطر الانفعال على التّعقّل كما هو حال القوم، فأكمل عيسى ابن هشام وصف استجابة القوم، وامتثالهم السّريع لمراد الرّجل، الّذي عبّر عنه بفاء التّعقيب في قوله: "**فَنَقَدْنَاهُ مَا طَلَبَ**" (الهمذاني، 2005، ص138)، وعطف على ذلك جملة مسجوعة في (**طلب، خطب**)؛ مبرزًا استجابة إيقاعيّة متناغمة، رقصت لها قلوبهم فرحًا؛ إذ استطاعوا إتمام الصّفقة دون إحساس بالصّفعة، وكان حال صاحب الحرز بعدها بالاتِئاد والاطمئنان بتقديم ما يغذّي فريسته بهدوء، ودون تكلّف بوضع يده في جيبه، دون عناء منه أو اجتهاد؛ إذ عبّر عن ذلك بقوله: "**آبَتْ يَدُهُ إِلَى جَيْبِهِ**" (الهمذاني، 2005، ص139) على سبيل الاستعارة المكنيّة؛ إذ شبّه اليد بالإنسان الّذي يتحرّك بقوته لا بقوة غيره؛ ليوضّح هنا أنّ اليد امتهنت الأمر، واستساغت الطّريق دون مؤثّر، فقد بات صنيعها بحكم العادة سلوكًا، أمّا تعبير ابن هشام عن ذلك بهذا الأسلوب البيانيّ، فهو إشباع لقوّة الحجّة والمظهر المقنع الّذي بعثر ألباب القوم، ويضاف إلى ذلك جمال **التّنغيم في الجناس**، الذي يعدّ واحدًا من

" الحلى اللّفظية والألوان البديعيّة، التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع، وتحدث في نفسه ميلًا الى الإصغاء، والتّلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة، فتجد في النّفس القبول، وتتأثر فيه أي تأثير، وتقع في القلب أحسن موقع" (لاشين، 1999، ص156) إضافة إلى التّسجيع في (**ديباج، عاج**) في حرف الجيم الّذي ينشأ من مخرج استساغه الرّيق، ومكان الذّوق الجميل في اجتماع اللّسان بالحنك الصّلب، وتماس أطراف اللّسان بحوافّ الأضراس.

وبعد الرّحلة أدرك ابن هشام أنّ الامر حيلة، فسأل بالاستفهام البلاغيّ الخارج إلى معنى التّعجّب، معتذرًا بأنّه لا يملك زمام الصّبر، ولا يفهم ماهيّته، وأسباب التمكّن منه، فعبّر عنه بالاستعارة المكنيّة في قوله: "**نَصَرَكَ الصَبْرُ**" (الهمذاني، 2005، ص139)؛ إذ شبّهه بكلّ من استطاع أن ينصر أحدًا كالإنسان القويّ، والسّيّد في قومه أو الحاكم وغيره، وفي ذلك إطلاق عنان لمن أراد استحضار المشبّه به، يبيّن مقدار استعظامه شأن الصّبر وأثره في النّفس والعقل، وعبّر أيضًا بالطّباق (**نصرك، خذلنا**) وفي ذلك بيان لجهله بأنّ الصّبر لا يخذل من يقصده، بل يخذل تاركه، وهو لم يصبر مطلقًا، ثمّ بالزّجر بدأ صاحب الحرز خطابه في كلمة (**ويك**)) النّاتجة عن إضافة (وي) إلى الضّمير(كاف المخاطب)، التي تحمل معاني التعجب والزّجر والوعيد (انظر: ابن منظور، 1997، 9/ 426) في إشارة من صاحب المقامة إلى الاهتمام بالخطاب المملوء بالحكمة، وخلاصته الفهم والموعظة المستفادة من المقامة الكامنة في الصّبر، ويعبّر بالمجاز المرسل عن فوائده أي(**الصّبر**) في قوله:" **مَلأَتُ الكِيسَ تِبْرًا**"، فقد ذكر التّبر، وأراد المال الّذي يبتاع به التّبر على سبيل العلاقة المسببيّة، وفي ذلك إظهاره ثمن الصّبر العظيم وأثره في منفعة صاحبه، ثمّ في استفهام خرج بلاغيًا إلى معنى النّفي يقول: "**مَا أَعْقَبَنِي السَّاعَةَ مَا أُعْطِيتُ صَبْرًا**" (الهمذاني، 2005، ص139)؛ نافيًا وجود أيّ ضرر فيما انتفع به بالحيلة الّتي عدّها محلّ فخر واعتزاز، فبالمال يشتدّ أزره معبّرًا باستعارة مكنيّة شبّه فيها المال بحزام الظّهر الّذي يقوّي مَكنهُ على الوقوف، وشبهه بعدها – أيضًا- بالجبيرة الّتي للكسر، وختم بالمجاز المرسل عند ذكره الغرق في قوله: "**وَلَوَ أَنِّيَ اليَوْمَ فِي الغَرْقَى لَمَا كُلِّفْتُ عُذْرًا**" (الهمذاني، 2005، ص139)، الّتي أراد بها(**البحر**) موضع الغرق بالعلاقة الحالّيّة، وكان ذلك لجملة الشّرط المقودة بحرف الامتناع (**لو**)، الّذي يفيد نفي الحكم وعدم لزوم معذرة الرّجل، إن خابت حيلته بقضاء الله لعدم وجوده حينئذٍ.

النّتائج:

تعدّدت عند صاحب المقامة الأدوات البلاغية، الّتي قدّم بها نصًا أدبيًا مفعمًا بالدّلالات العميقة، فكان لها عظيم الأثر في المتلقّي، وشخوص المقامة، وقد وقفت الدّراسة على مواطن في المقامة أشهرها وأكثرها أثرًا في التّأثير والإقناع، انقسمت على أبواب البلاغة الثّلاثة:

أولًا: علم البيان؛ إذ اندرجت تحته من استعمالات صاحب المقامة الاستعارة بنوعيها، الّتي تحوّلت طاقتهما الجماليّة إلى مصدر من مصادر الإقناع؛ لتعطي كلّ منهما مفعولًا حجاجيًا مختلف القوة من تشبيه إلى آخر ومن سياق إلى آخر، فكانت الغلبة في النّص للاستعارة المكنية على التصريحيّة، بعدّ الاستعارة عمومًا ضربًا بليغًا من الكلام أكثر من التشبيه البليغ؛ إذ يفهم بأقل العبارات ويتجلّى فيه التّشبيه رغم غياب أحد ركنيه، أما المكنيّة ففيها إسهام عظيم في جعل القارئ متحفزًا للتبصّر في مشتركات القرائن، التي تدلّ على المشبّه به، فترك الأمر للمتلقّي في توجيه القرينة؛ لإيجاد المشبّه به أدعى إلى جعله(المتلقي) أوثق بما دعاه إليه النّص الأدبيّ، أمّا الكناية الّتي أريد بها غير معناها الّذي وضعت له، مع جواز إرادة المعنى الأصليّ، فهي ضرب بلاغيّ مؤثر، استهدف بها أولي النّهى فضلًا عن غيرهم، أما المجاز المرسل، فقد كانت علاقاته محكومة بالنّص.

ثانيًا: علم المعاني، الذي اندرجت تحته الجملة الخبريّة والإنشائيّة (الخبر بأنواعه الثلاثة، والإنشاء الطلبي) والتقديم والتأخير.

ثالثًا: علم البديع، اندرج تحته السّجع، والطباق، والجناس، الّذي استمد طاقته الحجاجيّة من خلال تكثيف الإيقاع عن التّسجيع، وخلق جرس موسيقيّ قويّ، يتّصل مفعوله الحجاجي بأسر السّامع، وتنبيه اللّاهي، وتذكير النّاسي.

بناء على ما تقدّم، رأت الدراسة أنّ الأدوات البلاغية المذكورة، التي رصدت في مواضعها في النصّ بالتفصيل الدقيق، كان لها عظيم الأثر في توجيه الأفهام، وتطويع الأذهان إلى مرادات صاحب المقامة، فأقامها عليهم حججًا كانت بمثابة محركات إقناع فاعلة للمتلقين المذكورين في تحليل الدّراسة.

المصادروالمراجع

ابن الأثير، ض. (ت 637ه). *المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر*، (ط1)، موسوعة الشعر العربي، 2009.

الجرجاني، ع. (ت 471 ه). *أسرار البلاغة في علم البيان*، (ط1)، موسوعة الشعر العربي، 2009.

الجرجاني، ع. (ت 471 ه). *دلائل الإعجاز*، تحقيق: محمود شاكر، (ط3)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992.

جلال الدين. م. (ت 739ه). *التلخيص في علوم البلاغة "وهو تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي"*، (د. ط)، حققه وشرحه وأعدّ فهارسه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

الدهري، أ. (2011). *الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة*، (ط1)، المغرب: شركة النشر والتوزيع المدارس.

الزّركشي، ب. (ت 794ه). *البرهان في علوم القرآن*، (د. ط)، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، مصر، 2006.

السكاكي، ي. (ت 626ه). *مفتاح العلوم*، (ط2)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1987م.

سيبويه، ع. (ت 796ه). *الكتاب*، (ط1)، موسوعة الشعر العربي، 2009.

صولة، ع. (2011)) . *في نظريّة الحجاج "دراسات وتطبيقات"*، (ط1)، مسكيلياني للنشر، تونس.

عبد الرّحمن، ط. (2006). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*، (ط2)، المغرب: المركز الثقافي العربي.

العزاوي، أ. (2010). *الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته*، (ط1)، الأردن: عالم الكتب الحديث، ج1.

عياد، ش. (1985). *اتّجاهات البحث الأسلوبي: دراسات أسلوبيّة*، (ط1)، السعودية: دار العلوم.

ابن فارس، أ. (ت 360ه). *معجم مقاييس اللغة*، (ط1)، لبنان - بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، 2001.

القزويني، خ. (ت 682ه). *الإيضاح في علوم البلاغة*، (ط1)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

لاشين، ع. (1999). *البديع في ضوء أساليب القرآن*، (د. ط)، مصر: دار الفكر العربي.

المبخوت، ش. (2010). *الاستدلال البلاغي*، (ط2)، لبنان: دار الكتاب الجديد.

ابن منظور، ج. (ت 711ه). *لسان العرب*، (ط6)، بيروت، دار صادر، 1997، ج2.

الميداني، ع. (1996). *البلاغة العربيّة "أسسها وعلومها وفنونها"*، (ط1)، لبنان: دار القلم، لبنان.

بنو هاشم، ح. (2014). *نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان*، (ط1)، لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة.

الهمذاني، أ. (ت 398ه). *مقامات بديع الزّمان الهمذاني*، (ط3)، قدم لها وشرح غوامضها: محمد عبده، لبنان: دار الكتب العلمية، 2005م.

الدّوريات:

الرّقبي، ر. (2011)، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، *مجلة عالم الفكر*، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2(40).

أعراب، ح. (2001)) ، الحجاج والاستدلال الحجاجي، *مجلة عالم الفكر*، 1 (30).

References

Abdulrahman, T. (2006), *Tongue and Scales or Brainstems*, (Edi. 1), Morocco: Arab Culture Center.

Al-Azawi, A. (2010), *Alhajaj In Language*, (Edi.1), Jordan: Within the book of Alhajjaj its concepts and scops, Modern Book World, Vol.1.

Al-Dahri, A (2011), *Al Hajjaj Its Concept and Its Fields Theoretical and Applied Studies In The New Rhetoric*, (Edi 1), Morocco: School publishing and distribution company.

Al-Hamadhani, A (398). *Maqamat Badi Al Zaman Al Hamadhani*, (Edi 3), Audited and explained by: Mohammed Abdo, Lebanon: Dar Alkotob Al-ilmyah, 2005.

Aljarjani, A. (471 H), *Evidence of miracles*, (Edi 3), investigated by: Mahmoud Shaker, Egypt: Alkhangi Library, 1992.

Aljarjani, A. (471 H), *Secrets of rhetoric in the science of rhetoric*, (Edi 1), Encyclopedia of Arabic Poetry, 2009.

Almabkout, S. (2010), *Rhetorical reasoning*, (Edi 2), Lebanon: Dar Alketab Aljadeed.

Al-Maidani, O. (1996), *Arabic Rhetoric "Its Foundations Sciences and Arts"* (Edi. 1), Lebanon: Dar Al-Qalam.

Al-Qazwini, K (682 H), *Clarification in rhetoric sciences*, Investigated by: (Edi.1), Ibrahim Shams Aldin, Lebanon: Dar Alkotob Alilmiah, 2003.

Al-Sakkaki, Y. (626) *Miftah Al-olum, Audited by: Na'im Zarzour*, (Edi. 2), Lebanon: Dar Alkotob Al-ilmyah, 1987.

Alzarkashi, B (794 H), *Proof in the sciences of the Qur'an, Investigated by: Abo Alfadel Aldemyati*, (Without Edition), Egypt: Dar Alhadith, 2006.

Ayyad, S. (1985), *Stylistic Research Directions: Stylistic Studies*, (Edi 1), Saudi Arabia: Dar Al-Olum.

Bano Hashem, H. (2014), *Al-Hajjaj Theory with Chaim Perelman*, (Edi.1), Lebanon: Dar Al-Kitab Aljadeedah.

Ibn Al-Athir, D. (637 H), *The Proverb in The Literature Of The Writer And Poet*, (Edi.2), Investigated by: Mohammed Mohiee Al-Deen, Lebanon: Al-Maktaba Al-Asriya.

Ibn Faris, A. (2001), *Dictionary of Language Standards*, (Edi. 1), Lebanon: Dar Ihyaa Al Torath Al Arabi.

Ibn Manzour, (711 H), *Lisan Al-Arab*, (Edi. 6), Lebanon: Dar Sader, 1997, Vol 2.9.

Jalal Al-Din, M. (739), *Summary in the sciences of rhetoric, "which is a summary of the book Miftah Al-Ulum by Al-Sakaki"*, investigated by: Abed Al Hamid Hindawi, Lebanon: Dar Alkotob Al-ilmyah.

Lasheen, A. (1999), *Al-Badi in the light of the methods of the Holy Quran*, (Without Edition), Egypt: Dar Alfeker Alarabi.

Sebawaih, A. (796), *Alketab*, (Edi 1), Encyclopedia of Arabic Poetry, 2009.

Solah, A. (2011), *In the Hajjaj Theory Applications and studies*, (Edi.1), Tunisia: Meskilyati for publication.

Periodicals:

A'rab, H. (2001), Alhajjaj and Hajjaic reasoning, *World of Thought Journal*, 1, (30).

Alraqbi, R. (2011). Argumentative reasoning and its mechanisms of action, *World of Thought Journal*, The Supreme Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait, October-December 2011, 2(40).